الصهيونية بعد قيامها ، كان يعي ان مصير الصهيونيـــة يعتمد على ظـــروف الصراع المجتمعي في روسية . ويبدو ان الصهيونيين كانوا على استعداد آنذاك لوضع انفسهم في خدمة ضرب الثورة . وفي مقالة كتبها هـــايمن لومر تحت عنوان « الـــدور الرجعي للصهيونية » ظهرت في مجلة **الشؤون السياسية** الاميركيـــة في عددها الصادر في تموز ١٩٧٠ تكلم المؤلف عن الخدمات العملية التي وفرهـــا الصهيونيون للـــدوائر الاميركية الحاكمة حين وفروا المعلومات الدقيقة من خلال عملائهـــم في روسية عن تطور الوضع هناك مـــا بين ثورتي آذار (مارس) وتشرين الاول (اكتوبر) . ولا شك ان اعمـــال الصهيونيين اغدقت عليهم استحسان الدول المعنية . اما مسألة اصدار الاعلان لصالح الصهيونية بقيت معلقة رهن تطور الاحداث في روسية .

ان القوى التي اعتمدت عليها الحكومة المؤقتة في روسيه ظلت هزيلة بوجه تعالي كفاح الطبقات العاملة ضدها . وبدا ذلك واضحا في منتصف حزيران (يونيو) عند انعقاد اول مؤتمر للسوفييات وما تبعه من ضجة واسعة حول المظاهرة غـــير المرخصة التي نادت اليها اللجنة المركزية البولشفية في بتروغراد ليوم ٢٣ حـــزيران (يونيو) . ورغـــم ان المظاهرة الغيت ، الا ان الاحداث التي سبقت موعدها اظهرت ضعف الحكومة واثارت خوف الديبلوماسيين الغربيين . واعيدت اثارة موضوع الاعـــلان لصالح الصهيونية في هذا الوقت حين قام رونالد غراهـــام احد اعيان مكتب الشؤون الخارجية البريطـــانية باصدار مذكـــرة في ٢٣ حزيران (يونيو) حث فيهـــا على اصدار بيـــان علني لتأييـــد الصهيونية . وكان هذا المسؤول البريطاني واضحا جدا في كلامه عن النتائج السياسية التي كان يأمل احرازها من هذا البيان . فقال : « يجب علينـــا اذا تأمين كافة الفوائد السياسية التي يمكن احرازها من علاقتنا بالصهيونية ولا شك ان هذه الفوائد ستكون ضخمة وخاصة في روسية حيث الطريقة الوحيدة للوصول الى البروليتاريين اليهود هي من خلال الصهيونية ... »

وهكذا بدا للمسؤولين البريطانيين ان الصهيونية هي الوسيلة الوحيدة لصرف اهتمـــام البروليتاريين اليهود عن الكفاح الاشتراكي في ظروف الحرب . فاعـــلان رسمي تصدره دول الحلفاء اعتبر اداة من شأنهـــا تقوية الصهيونيين وتحسين قبوليـــة تصديقهم بين صفوف الجماهير اليهودية . وبدا لهم الامر ذو خطورة خـــاصة وان ازمة الحكومة في روسية بدأت تزداد سوءا . ففي اوائل تموز (يوليو) حدثت عدة اشتباكات في شوارع بتروغراد بين مؤيدي الحكومة المتحمسين للحرب وجماهير العمال الذين بدوا وكأنهم على استعداد لبدء هجومهم على الحكومة . وفي الجبهة بدأ افـــراد الجنود ومجموعات منهم تتذمر وتتمرد . ومن انكلترة بعث بعميل بريطاني اسمه غولدبرغ الى روسية للاتصال بالصهيونيين كما باشر سوكولوف بالتوجه الى روسيه من اجـــل « البحث في الوسائل للقيام بالدعاية الفعالة » بين اليهود هناك . وفي نفس الوقت ، « طلب » من الصهيونيين البريطانيين بقيادة روتشيلد ووايزمان اعداد مشروع اعلان يتقدمون به الى وزارة الحرب البريطانية . وبدا وكأن الاعلان على وشك الصدور ، الا ان تغير مجرى الاحداث ادى الى تأجيل الاعلان الى اجل غير محدد .

ففي النصف الثاني من تموز (يوليو) تمكن النظام الروسي من تحسين اوضاعه . وتمكن اسكندر كيرنسكي باتباعه موقفا وسطا بين الاحزاب المساومة (المنشفيـــك والثوريين الاجتماعيين) من جهة والرأسماليين الذين تطلعوا الى الجنرالات امثال كورنيلوف بافواج الكوساك الموالية لـــه من جهة ثانية من تحقيق قدر من الاستقـــرار والقوة للحكومة . وباشرت بعد ذلك الحكومة بضرب العمـــال والجنود المتمردين وتفريق صفوف الحزب البولشفي . ويبدو ان موضوع الاعلان في بريطانية اهمل لمدة شهر ونيف على اثر ذلك .

بالاضافة الى استتباب الامور في روسية فقد كانت هناك الاعتبارات العسكرية الهامة